معوقات التكفل بأطفال الشوارع بين التصور والممارسة

كريمة علاق (1)

مقدمة:

ما من شك أن تضاعف عدد الدّراسات حول ظاهرة أطفال الشوارع ،جاء موازاة مع مدى ارتفاع نسبة هذه الفئة من المجتمع، خاصة فئة الأحداث الذين يعنيهم مفهوم "أطفال الشوارع"،والتي أصبحت تفرض تحركا على كل المستويات: الرأي العام، الحياة الجماعية، المجموعات العلمية، وأيضا من قبل المرافعات السياسية والحكومية.

ولعل الموضوع أصبح هدفا لكثير من أدبيات معتبرة خصت هذه الظاهرة بالتناول حتى وإن اختلفت قيمتها العلمية، ولعل محاولة اينفرندزي 2000 (Invernizzi (A) : 2000) كانت السباقة في جمعها، حيث أوضح من خلالها أن المنظمات العالمية* هي من تفرض وجودها في هذه الأدبيات،لأنها تشكل مجموعة النشطين المشتركين التي تنتج الخطابات والتطبيقات التي تعمم في كل الدّول المصادقة عليها، وهنا تكمن إشكالية التعميم والتخصيص عند التطرق إلى هذه الظاهرة.

ولعل بحثنا المتواضع هذا هو محاولة لمسح كل المحاولات التي أعطت أهمية لهذه الفئة من المجتمع معتمدين بذلك على العديد من الدراسات والبحوث التي وقعت عليها أيدينا:

(Bergeron (M) :1950)، ((Vexiliard (A) :(1950)، (1953)) ، (Glauser (B) : 1990)، ((Lucchini (R) :1993)، (Calmettes (Q) :1994) ، ((Tessier (S) :1994)، ((Shumway Warner (J) : 1995)، Bidon (D)) – (L)) ، ((Dallaire (N) :1998)، ((Alexander :1997 (M))،((Tessier (S) :1998)، ((Mucchielli :1998 Parazelli :2002)، ((Josse (E) : 2006)

هذا من جهة، واستنباط أهم المعوقات التي تقف حائلا أمام التكفل بهذه الشريحة من المجتمع حسبهم، ومقارنتها بمجتمعنا الجزائري من جهة أخرى، تفاديا لتضاعف هذه الظاهرة بالتكفل الهادف والفعال.

فأين تكمن معوقات التكفل بأطفال الشوارع يا ترى ؟

أولا إشكالية تحديد مفهوم أطفال الشوارع ؟

لو تمعنا ملية في المفهوم الذي نحن نتداوله الآن، نجدنا وقعنا في بعض من اللبس من غير قصد. ما يدفعنا إلى التساؤل عمن نتحدث ! عن **الحدث** (Jeune) والذي يترجمه قاموس المنهل بـ" فتى أو صغير السن أو غير شاب" ؟ أم عن **الطفل** (Enfant) والذي يترجمه إلى" صبي، ولد، ابن "(قاموس المنهل ، 2006 : 384) ؟ أم عن **المراهق** (Adolescent) ؟ عن الشوارع (des rues) كأزقة توصل إلى الأحياء أو تقطع المدن ؟ أم عن الصعوبات والمشاكل ؟

فالتمثلات المرتبطة بالطفولة، والحداثة، والمراهقة، وحتى بهذا الفضاء – المكان الذي هو الشارع لا نعتبرها حيادية تماما (neutres)، فهي تمثلات تأسست أساسا وبشكل كبير نتيجة تأثيرات التغيرات السوسيواجتماعية، السياسية والعائلية خلال القرنين الماضيين وخاصة في سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي. وعليه فإن المفاهيم التي تدور حول هذه المراحل من العمر تغيرت كثيرا عبر الزمن.

فمفهوم "طفل الشارع" أو الشوارع كما يحلو للبعض تسميته، هو مفهوم لم يكن متداولا من قبل، ولم يستخدمه الباحثون في المؤسسات العلمية والأكاديمية العربية إلا حديثا، عندما أصبحت الظاهرة أكثر انتشارا، وأخذت حيزا كبيرا من الاهتمام الدّولي.

ولعل المتمعن في هذه التسمية يجد ارتباط مفهومين أو أكثر بآخر: حدث أو طفل أو مراهق بالشارع. كما أنه من غير المعقول أن نقول إن هذه العلاقة فيها مشكلة مادام كل فرد له ارتباط بما يسمى الفضاء Espace الذي يرتبط بدوره بالمكان (Lieu) والجمع بين هذه المفاهيم الأربعة الفرد + فضاء + مكان يعطينا المحيط والذي بدوره يشكل العالم* *(Le Monde) الذي يحيط بهذا الفرد : منزله الذي يكون عائلته ،ثم المنازل المحيطة بمنزله والتي تشكل الجوار والجيران، وهي بدورها تشكل الحي الذي يقترن بالرفاق والأقران، ثم المدرسة التي تجمع أفرادا من أحياء أخرى، إلى جانب أفراد الحي، إلى غير ذلك من خصوصيات هذا العالم الذي يبدأ صغيرا، ليكبر كلما كبر الفرد وكبرت علاقاته.

إذن فلا وجود لأي إشكال في هذا السياق أن يرتبط طفل بالشارع، على أساس أنه الفضاء أو المكان الذي يعبر من خلاله إلى كل هذه الفضاءات الأخرى كالبيت.. والمدرسة.. والتي تدخل كلها في سياق نموه النفسي أو الاجتماعي. كما أننا لو أخذنا المفهوم العامي "للشارع" نجده يتداول بكلمة "برا" أو "البرا"، "الزنقة"، فحين يريد الطفل الخروج للعب مع أقرانه يقول "راني رايح نلعب البرا" دون أن يحدد المكان بالضبط كونه في الملعب أو في "الزقاق" أو فقط أمام

الباب. إذن فالشارع كفضاء يرتبط كحلقة وصل بين الفرد وفرد آخر بين مكان ومكان آخر وبين فضاء وفضاء آخر- حتى لا ندخل في هذه المفاهيم من الجوانب النظرية : المعرفية والتحليلية النفسية ... - كخيط عنكبوتي لا يمكن أن يكون مشكلة إذا كان يلعب دوره بشكل عادي في التواصل والاتصال، وفي التفاعل والتفعيل وفي تبادل العلاقات مع الآخر، ليكون فقط معبرا لفضاءين أو أكثر أي من البيت إلى المدرسة أو للعب مع الأقران... لكن الأساس هنا هو بعد العبور إلى هذه الفضاءات لابد من الرجوع إلى نقطة الانطلاق وهي البيت فتكون العملية من وإلى البيت، فالحالة عادية إلى هنا. لكن متى يطرح الإشكال؟ حين يصير الشارع والذي كان نقطة عبور من البيت إلى المدرسة...إلى... ثم الرجوع إلى البيت هو الملجأ والمأوى ويحدث انقطاعا مع الفضاءات الأخرى التي تعود عليها. وهكذا يصبح الشارع هو أساس العالم لدى الطفل ليقضي فيه كل وقته بعد أن كان يقضي فيه جزءا من وقته، كما يعني أن هذا الفضاء واسع... شاسع... دون حواجز أو أبواب أو جدران، دون سقف.

ولعل طفلا يعيش في فضاء شبه مفتوح وهو البيت إلى فضاء مفتوح تماما، من فضاء تحكمه القوانين إلى فضاء أكثر حرية، من فضاء صغير إلى فضاء شاسع، من فضاء معروف إلى فضاء مبهم، لا يحدث جزافا، وإنما يأتي بعد تخمين بقرار عدم الرجوع وقطع العلاقة، ولا يتم تحقيقه إلاّ بالهروب من البيت أو الفضاء الأولي . فهو الفعل الذي عن طريقه يتم قطع الصلة بين الطفل والفضاء الأولي، ليجد نفسه في فضاء أوسع ليس لديه نقطة محددة أو مكان محدد، وهو ما يدفعه إلى التسكع في الأزقة والشوارع لعله يجد الملجأ الذي يأويه، وإن وجده يصبح مكانه المفضل وهكذا يصبح متشردا.

ومن خلال هذه العجالة وجدنا أنفسنا أمام مفاهيم أخرى: الهروب من البيت، التسكع، التشرد. وكلها ترتبط بالشارع، وعليه، يقترن "طفل الشارع" بمفهومين لا يقلان أهمية عنه وهما **الهروب** (La Fugue) و**التشرد** (Vagabondage).

فالأول أي "**الهروب**" (La Fugue) مشتق من فعل "هرب" بمعنى "فرّ" أو "لاذ بالفرار" كما يعني "اختفى مسرعا " (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2000). وفي لسان العرب يقال هرب من الوتد نصفه في الأرض أي "غاب"، ويقال ساح في الأرض أي هرب فيها (ابن منظور 2003 : 923) ، وهكذا فإن الهروب في اللغة العربية تعني الفرار والاختفاء بسرعة والغياب عن طريق السياحة في الأرض.

ويعرفه قاموس (Larousse) بأنه فعل الهروب من البيت، ويكون عادة عند الطفل. ويتضح هنا أن الهروب يتم تحديدا من البيت (Le petit Larousse : 1995) أما التعريف الاصطلاحي للهروب فإنه "هروب من المنزل أو الفرار منه" ((Sillamy (N)، 1999 : 116). ويضيف سيلامي (1999) مفهوما آخر إلى الهروب وهو (Escapade) والذي يترجمه قاموس المنهل (2006) بمجموعة من المفاهيم من بينها (هروب ، مغامرة) حيث تشتق هذه الكلمة من (Escape) والتي هي أسفل ساق العمود وهو نفس التداول الذي وجدناه في لسان العرب بمعنى "غاب" (ابن منظور 2003: 923). إذن فالمفهوم الذي يعنيه "سيلامي" هو **الهروب والغياب عن بيت الأهل**، إذ يعتبران عند الطفل والمراهق حلا مشتركا لإنهاء الصراع مع المحيط (الوالدين المعلمين والمربون)، وفي نفس الوقت كرد فعل متعارض مع المحيط الذي لا يلبي رغباته، وأمل مبهم في أن يجد في مكان آخر ما حرم منه لحد الآن" ((Sillamy(N) (1999):116). فالهروب من البيت إذن **هو اختفاء مؤقت أو طويل دون تبليغ العائلة. وينتهي إمّا بالعودة إليه في الحالة التي يكون فيها مؤقتا. ويصبح تشردا في الحالة التي يطول فيها الغياب عن البيت.**

أما الثاني أي "التشرد" فهو مشتق من فعل "تشرّد" بمعنى "هام على وجهه" أي "سار على غير هدى"، ويعني أيضا "تسكع" أي "تشرد بين الأزقة والشوارع". ((Sillamy(N)(1999):116) و"تشرّد" بمعنى أضاع وقته في التشرد، وهي حالة من ليس له محل إقامة ولا وسائل عمل، وهو خروج عن مألوف الحياة الاجتماعية الكريمة وانتهاج طرق التسول. و"المتشرد" يعني متبطل متسكع، هائم على وجهه أي متشرد في الشوارع أو شخص بلا مسكن أو مأوى. (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2000 : 758). فالتشرد إذن هو **التسكع في الشوارع والأزقة والإقامة فيها**. وينتهي بالتسول من أجل العيش، نظرا لغياب أدنى شروط الحياة الكريمة، والمبيت فيها نظرا لعدم توفر محل الإقامة.

ويعطي منجد Hachette (2006) مفهومين عن المتشرد حيث الأوّل (Vagabond) من اللاتينية (Vagari) ومعناه الشخص الذي ليس له محل الإقامة ولا وسائل عمل من أجل العيش والثاني (Clochard) وهو الشخص الذي ليس له محل إقامة وبدون عمل حيث يحيا حياة بائسة على هامش المجتمع (Dictionnaire Hachette 2009) ونجد أن المعنى الثاني أي (Clochard) يطلق أيضا بالعامية على كل من ليس لديه مأوى ويتسكع في الشوارع، كما يطلق على من لا يدخل البيت ويظل طول النهار بعيدا عنه كمن لا مأوى له، غير أن المعنى اللغوي لا يحدد نوعية هذا المتشرد أو المتسكع من حيث السن أو الجنس، فهو إذن كل شخص منبوذ من المجتمع والهائم على وجهه لا مأوى له ولا هدف.

غير أن المفهوم القانوني لكلمة متشرد يختلف عن مفهومها اللغوي في أنه يتضمن أيضا من يعيشون بطريق غير مشروع، ومن يحتالون أو يخادعون بقصد العيش (عباس الحسيني (1972):12) وطبقا لما تقضي به القوانين المختلفة، لا يخرج التشرد عن الأحوال الآتية:

1 _ انعدام المأوى أو المسكن لدى المتشرد .

2 _ انعدام الوسيلة أو المهنة المشروعة للتعيش.

3 _ اتصاف المتشرد واشتهاره بأنواع معينة من السلوك الجانح (أنور محمد الشرقاوي (1977) :14) .

ويرتبط الهروب من البيت والتسكع والتشرد بالشارع ومنه أدخل حديثا مفهوم آخر إلى قاموس الدراسات والأبحاث ، ويعرف بمفهوم "أطفال الشوارع".

أطفال الشوارع : هو مفهوم لم يكن متداولا من قبل ولم يستخدمه الباحثون في المؤسسات العلمية والأكاديمية العربية إلاّ في الفترة الأخيرة ، عندما أصبحت الظاهرة أكثر انتشارا ، وأخذت حيزا كبيرا من الاهتمام الدّولي.

ويعرف أطفال الشوارع بأنهم ذكور وإناث يقل عمرهم عن 18 سنة يعيشون وينامون ويأكلون ويلعبون في الشوارع، منهم من لا يعمل والبعض الآخر يعمل (أي في الشارع) بشكل غير رسمي وغير مرخص به، وعلاقتهم بأسرهم غالبا إما منتظمة أو مقطوعة (www .Streetchildren.org uk)

تعريف اليونيسيف: يرتكز التعريف على اعتماد الطفل على الشارع كمصدر للدخل والبقاء، حيث لم يشترط الإقامة في الشارع، واعتبر حتى الأطفال العاملين في الشارع، والمقيمين في كنف أسرهم من أطفال الشوارع.

فأطفال الشوارع وفق تعريف اليونيسيف إلى أطفال في الشارع وهم الذين يعملون طول النهار في الشارع، ويعودون آخر النهار إلى أسرهم للمبيت، وأطفال الشوارع الذين تنقطع علاقتهم مع أسرهم، أو ليس لهم أسر أساسا، وهكذا فإن اليونيسيف تقسم هؤلاء إلى أربعة :

1 _ أطفال يعيشون في الشارع، والذي هو مصدر البقاء والمأوى.

2_ أطفال هاربون من أسرهم ، ويعيشون في جماعات مؤقتة أو منازل مهجورة، أو ينتقلون من مكان إلى آخر.

3_ أطفال لا يزالون على علاقة مع أسرهم، ولكن يقضون "أغلب اليوم وبعض الليالي في الشارع بسبب الفقر أو اللجوء إلى كسب العيش بدل المعيشة مع الأسرة، أو تعرضهم للاستغلال البدني والجنسي داخل الأسرة.

4_ أطفال في مؤسسات الرعاية القادمون إليها في حالة تشرد، وهم مهددون في نفس الوقت للعودة إلى حالة التشرد مرة أخرى (www .Unicef.org) .

إذن فكلمة "طفل الشوارع" لا تحدد نوعية الطفل ولا فئته ولا جنسه ولا حتى سنه على أساس أنه غير راشد فقط وأنه يعيش في / أو من الشارع، داخل مدينة. علما أنه المفهوم الذي يراه البعض أنه يعطي هوية أكثر لهؤلاء الأطفال (http : //fr.wikipedia.org) .

فمن نقصده من غير الراشد ؟ أهو الحدث ؟ أم الطفل ؟ أم المراهق؟ علما أن كل هذه الفئات غير راشدة وهكذا يتعين علينا تحديد قبلا من هم المعنيون بهذه الشريحة المرتبطة بالشارع ؟

إذن فلعل أوّل معوقات التكفل هو التحديد الدقيق للمفهوم الذي يمس الفئة المستهدفة وإعادة النظر في مفهوم "الشارع" لما يمس من قيمة وكرامة من لهم علاقة به.

ما مفهوم الحدث إذن ؟

تجمع قواميس اللغة العربية أن الحدث هو صغير السن (المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي (1972):14). ويختلف تعريف الحدث في القانون عنه في علم النفس وعلم الاجتماع، فالتعريف القانوني للحدث يشير إلى أنه صغير السن الذي أتم السن التي حددها القانون للتمييز، ولم يتجاوز السن التي حددها لبلوغ الرشد، أمّا تعريف الحدث وفق المفهوم الاجتماعي النفسي، فإنه الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي، وتتكامل عليه عناصر الرشد (أكرم نشأة إبراهيم (1960) : 10).

وحدد المشرع في الجزائر سن الرشد الجزائي بـ 18سنة، وهو يختلف عن الرشد المدني الذي هو 19سنة، فالحدث إذن هو الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد المقرر قانونا، أي 18سنة. بالنسبة لسن الرشد الجزائي طبقا لنص المادة 442 من قانون الأسرة الجزائري، و19 سنة بالنسبة لسن الرّشد المدني، طبقا لنص المادة 40 من القانون المدني (http : //forum.law-dz.com)

وتعتبر الشريعة الإسلامية هي أوّل من ميزت بين الصغار والكبار من حيث المسؤولية الجنائية تمييزا كاملا، وهكذا فإن الفقه الإسلامي قد جعل المراحل التي يجتازها الإنسان من يوم ولادته حتى بلوغه سن الرشد ثلاث مراحل هي:

1_ مرحلة انعدام الإدراك: ويسمى الإنسان فيها "بالصبي غير المميز" وتبدأ بولادة الطفل، وتنتهي ببلوغه السابعة، ولكن إذا ارتكب أية جريمة، لا يعاقب عليها جنائيا، ولكن لا يعف من المسؤولية المدنية.

2_ مرحلة الإدراك الضعيف: ويسمى الإنسان فيها "بالصبي المميز" وتبدأ من سن السابعة وتنتهي بالبلوغ، فلا يسأل مسؤولية جنائية، وإنما يسأل مسؤولية تأديبية.

3_ مرحلة الإدراك التام يسمى الإنسان فيها بالبالغ الراشد، وهنا يسأل مسألة تامة.

واختلف الفقهاء في تحديد سن البلوغ إذا لم تظهر علاماته، فهي 15 سنة على رئي عامة الفقهاء، و18 سنة عند أبي حنيفة.

إذا فالأولى أن نحدد مفهوم الشخص الذي يرتبط بالشارع فهو حسب التعاريف السابقة الحدث / الطفل الذي لم يصل بعد إلى سن الرشد القانوني فيعني هذا أن المراهق أيضا يدخل ضمن هذه الشريحة علما أنه مشتق من "راهق" ومعناه "قارب الحلم، أو البلوغ". فالمراهقة إذن هي مقاربة البلوغ، فهي مرحلة من العمر يقارب فيها الصبي الرّشد وتعني مناهزة الإدراك (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، (2000) : 591) ويعرفها (Larousse) بأنها مرحلة من الحياة بين البلوغ وسن الرشد Le petit Larousse ، (1995) : 39) . ويشترك في هذا التعريف مجموعة من الباحثين (يعقوب غسان، 1978)، (ن سيلامي، 1999)، (مالك سليمان مخول، 2003) كما أنه يمكن تعريفها بطرق عديدة: فهي فترة نمو جسدي، وظاهرة اجتماعية، ومرحلة زمنية، كما أنها فترة تحولات نفسية عميقة كما يقول دوروي روجز (يعقوب غسان، 1978 : 20)، فالمراهقة إذن تدخل ضمن هذه الشريحة أو الفئة المتعلقة بالشارع.

وعليه فإنه لابد من إعادة النظر في المفهوم الممثل لهذه الفئة فهم أحداث، أطفال / مراهقين الشوارع.

وهكذا يتعين أيضا إعادة النظر في هذه التسمية ككل لأن أطفال الشوارع لا تحدد بدقة هذه الفئة التي نعنيها.

ثانيا : **إشكالية تمثيل مفهوم أطفال الشوارع ؟**

(يعطى مفهوم التمثيل هنا كأداة اصطلاحية بعيدا عن أن يشكل موضوعا في حد ذاته)

إن اللبس الذي يغمر مفهوم أطفال الشوارع من جهة تحديد هوية هؤلاء المقصودين الذين يرتبطون بالشارع هل هم أحداث أطفال أم مراهقون تجعلنا نقع في تعاريف وصفية فقط . حيث يتم فيها تحديد ووصف من نقصدهم على أساس التعاريف التي نعطيها عن الطفل الذي ليس لديه أية مشكلة ويعيش مع والديه. ولكن الكلمات التي تحاول تعريف هذه الفئة من المجتمع هي في حد ذاتها تشهيرية للتمثلات (Representations) التي نملكها عنهم على رأي تعبير (Invernizzi، 2000)، فالمصطلحات "أطفال الشوارع" "أطفال بدون مأوى" خصص "انفرنيدزي" لها فصلا خاصا في دراسته عنونه بفصل الالتباس (Chapitre des ambigüité). فلو قمنا بترجمة حرفية لأطفال الشوارع بلغتنا العامية ستعطينا المفاهيم التالية: "ولد الزنقة" أو "ولد الشارع" ولعل المفهومين لا يحتاجان إلى تعليق، ما دامت دلالتها المعرفية أوقع وأوضح حينما تصل الكلمات هذه إلى إذن المتلقي من عامة أو خاصة الناس. حيث تعطي تأويلات منها: "الطفل الذي ليس له مأوى" أو "هوية" وقد يصل الأمر إلى القول أنه "ولد حرام" بمعنى غير شرعي، ولعل المفهوم قد يذهب بعيدا إلى درجة أنه يمكن أن يحمله كل من تغيب العائلة عن القيام بدورها تجاهه، من حماية وتكفل وإيواء.

ففي السينغال مثلا، يرفض نفس هؤلاء الأطفال هذه التسمية "أطفال الشوارع" وهو المرادف "للقيط" (Batard)، ويعتبرونه إهانة لهم (Marguerat et Poitou ، 1994).

على العكس من السينغال فإن الصين مثلا لا تستخدم هذا المفهوم في تناولها لهذه الشريحة ، حيث أن التمثل الاجتماعي لهم يرتبط بالماء وبالضرارة أو العمى عندما يذكرون هذه الفئة وما يشوبها من غموض وهكذا فإن التسمية الشائعة هناك هي "أطفال الموجة العمياء" (enfant de la vague aveugle) (Stoëcklin، 1998 : 202).

وهكذا ظهرت تسمية جديدة قامت الأمم المتحدة ONN بتدعيمها والترويج لها بعد أن حددت اليونيسيف UNICEF تعريفا لها وهي "الأحداث / الأطفال ذووا الظروف الخاصة الصعبة" / (Jeunes enfants «en circonstances particulièrement difficile)

فاليونيسيف هي إذن أصل هذه التسربات المفاهيمية، ولأوربا امتلاك ثقل كبير ومعتبر في ذلك (Lindblad : 1996).

وهذا اعتبارا من المشاكل والصعوبات التي يعيشونها (الاستعباد، العمل، العنف، الاعتداءات الجنسية الخ ...) (Undblad: 1996).

ومع ذلك تظل مواصفات وتعابير "أطفال الشوارع" أو ما يعرف أيضا بـ "حدث / طفل الشوارع" ترجمة عن / (Streets kid children) ذات استعمال واسع.

ثالثا : إشكالية التعارض بين النصوص القانونية والواقع :

إن ما يعيق التكفل أكثر هو هذا التعارض بين النصوص القانونية المستمدة من خارطة هيئة الأمم المتحدة ONN والتي تعتبر حلقة مهمة من حلقات تحويل صورة مثالية خاصة بالدول المصنعة لتصبح معيارا عالميا وهو ما تطرق إليه العديد من الباحثين أمثال (Brannigan et Caputo، 1993)، (Fortier et Roy : 1996)، (Kuyn: 1998) ، (Pilotti: 1996) لتوضيح التناقض بين نصوص هذه القوانين والواقع من حيث خصوصية كل دولة حتى وإن كانت الاتفاقية المتعلقة بحقوق الطفل مرجعا لا يمكن التراجع عنه فإنها غالبا

ما تكون عرضة للانتقادات (Jouan : 1998) ومنه يسجل التفاوت بين حقوق الأطفال التي تعظمها والحقيقة القانونية، والثقافية والاقتصادية لهؤلاء الأطفال حين يصبحون مهمشين (Juan: 1998).

ما يمكن تسجيله أيضا هو نقطة تعارض مهمة بين واقع الطفل وبين النصوص القانونية، فهناك عدم توضيح يرتبط بتعريف الطفل بل تناقض واضح في تحديده، فهو تعريف يبدأ من البراءة وعدم النضج (مع تأسيس حقوق لذلك ودون تكليف) إلى فرد مستقل كلية، واع، مكتف ذاتيا، حر ومسؤول وكأن الأمر يتعلق براشد .

(Bruckner، 1995)، (Jouan، 1998)، حيث يمتد هذا الالتباس إلى غاية شريحة 24-15سنة، وهكذا فإن التناقض في تشريع النصوص التي تمس هذه الفئة أعطى غموضا أكثر في تحديد هوية هؤلاء هل هم مسؤولون عما هم فيه أم هم ضحية، فمن جهة تضع المسؤولية على عاتق المجتمع ومن جهة أخرى توجه لهم أصبع الاتهام، وهكذا فإن المعيار الذي تقيس به هذه المنظمات هو المجتمع الغربي وجعله نموذجا لابد أن يحتذى، به ضاربين عرض الحائط خصوصيات وثقافات المجتمعات الأخرى .

وهكذا وصل الأمر إلى حد التعارض في كيفية التكفل من خلال ما تحمله من مفاهيم تتعارض فيما بينها عند نفس المنظمة وبين منظمة أخرى، فنجد أن OMS مثلا تحاول إيصال مفاهيم حمائية (Protectionnistes)، فردية أو جماعية بواسطة مراقبة الجماعات أو معاملات الخطر (OMS، 1993) وتفضل (UNICEF) من جهتها الاتجاه البيئي، وتوجهات إعادة الإدماج الاجتماعي، استقلالية، وتحديد المسؤولية عن طريق الوسائل الكلاسيكية كالتربية، العائلة، الشغل (Lindbalad ، 1996) (UNICEF، 1994) أو عن طريق استغلال المناهج التي تفضل الإبداع والتراث الثقافي كما تفعل (UNESCO، 1999)، وهكذا شهد القرن العشرين أحد ثمار النموذج الوقائي: " ترقية / وقاية / تحسيس " الذي أصبح يفرض على المنظمات العالمية التي أصبحت هي بدورها تملك هاجس الثنائية التي تعارض الرغبة في مراقبة أفضل عن طريق الإقناع بهدف الاحتواء أو الفرض، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن هذه النصوص ومدى مقاربتها من مجتمعنا وهل يعامل أطفالنا تماما كما يعامل أطفال أمريكا اللاتينية أو إفريقيا .. لا بد من مراعاة خصوصيات مجتمعنا والوضعيات الاجتماعية والاقتصادية له، بل وعدم التصديق من أجل المصادقة دون تمحيص لما يتطابق أو يتعارض معنا.

رابعا : إشكالية التكفل الأولي :

لابد أن نعلم جيدا أن الطفل لا يجد نفسه في الشارع من أوّل وهلة ولكنه يحضر له ويخطط ويفكر فيه ملية، فغياب خريطة تكفل مبنية ومهيكلة في الأساس ومنذ الأساس يجعل إمكانية التكفل بهذه الشريحة من الأطفال يصعب بل وقد يكون مستحيلا أحيانا ويمكن جمعها في النقاط التالية :

أ_ إن غياب التنسيق بين الأسرة والمدرسة والداخلية والصحة والجمعيات والتضامن والتعليم العالي، والعدل، والمجتمع هو الذي يصعب مهمة التكفل أوّلا من حيث تحديد هذه الفئة تم إحصائها، ففي غياب أرقام حقيقية لا نستطيع أن نعرف درجة خطورة المشكلة أم لا، ولعل المثل الذي أصبح يطبق حقيقة من قبل أفراد مجتمعنا والذين لا يمكن استبعادهم عن كونهم الأوائل في تكوين كل المؤسسات المذكورة أعلاه وهي "تخطي راسي وتفوت" وكأن الأمر يعني مؤسسة دون أخرى .

ب_ **غياب المساعد الاجتماعي :**

وكأخصائية نفسانية اشتغلت طويلا في مجال الصحة النفسية والمدرسية لا يمكن القول أن التكفل بشريحة الأطفال دون مختص اجتماعي أو المساعدة الاجتماعية فتغييب هذه الشريحة من عملها الأساسي وهو الكشف والتبليغ عن الفئات التي تحتاج مساعدة داخل المجتمع هو أيضا أحد معيقات التكفل كما أن غياب التنسيق بين المدرسة والصحة في غياب تحمل المسؤولية هي أيضا من أحد أسباب معيقات التكفل، ويمكن تقسيمها إلى معيقات في المدرسة ومعيقات خارج المدرسة:

1_ فالمدرسة هي أوّل من له دراية بالأطفال أصحاب المشاكل ولعلها أوّل من يمكن اللجوء إليها في عملتي الإحصاء والوقاية لأنها تملك سجلات حية وهي الأطفال كما أنها تعرف عن قرب فئات الأطفال المعوزين، والمرضى، وفي خطر إلى غير ذلك من المشاكل التي تكون محفزة للتسرب المدرسي وبالتالي إمكانية أن يكون طفل الشارع.

4_ **الغيابات المتكررة:** أنها نقطة حساسة لا يجب السكوت عنها، فهي ربّما أحد المؤشرات التي نعتبرها ناقوس الخطر لما يمكنها من تحذيرنا لو درسناها عن قرب ومعالجتها في حينها، فالغياب المتكرر إن لم يكن من أجل العلاج في حالة الأطفال المرضى المزمنين، سيكون مؤشرا عن عسر القراءة أو صعوبات التعلم التي لا ترجع أساسا إلى الذكاء أو الذاكرة ولكن تعود ربما إلى مشكلات سلوكية يمكن التكفل بها في حينها من قبل الأخصائي النفسي أو المدرسي مع الدعم والإرشاد النفسي. فلا بد من التبليغ عن الغيابات المتكررة

لفرقة الصحة المدرسية ومنه إلى الأخصائي النفسي الذي لابد أن يصغي إلى هذه النداءات ويأخذها مأخذ الجد في علاجه لها باستخدامه كل الطرق والوسائل من أجل ذلك .

5_ يعرف المعلم أدق المشاكل وأخصها عند الطفل، فهو معوض الأب أو الأم والذي كثيرا ما يلجأ الطفل / الأطفال لسرد حكاياتهم وتقاسمها معه أو يلجأ إليه الأولياء حين وقوعها. فهو يعرف الطفل الذي اعتدي عليه جنسيا، من الطفل الذي يعمل بالبغاء (Prostitution) من الطفل العنيف والعدواني، من الطفل الذي يدخن، من الطفل الذي يبيع السجائر، من الطفل الذي يبيع الأكياس في السوق ويحملها في محفظته، من الطفل الذي يعمل بعد أن يخرج من المدرسة من الطفل المحرض والقائد (Leader)، من الطفل الذي يعاني من الضرب، وهي أمورتصبح في الأساس صفارة الإنذار أو القنبلة الموقوتة . كما لا يمكن الاستهانة بأي منها عند عرضها، بل والتبليغ عنها مباشرة للأخصائي النفسي الذي يمكنه التكفل بها قبل استفحالها، لأنها قد تكون من أسباب الدوافع للغياب عن المدرسة .

6_ تخلي المدرسة عن كونها المرافق والمساعد وتقزيم دورها فقط في تلقين المعلومات جعلها تتغاضى عن الكثير من المشاكل التي يمكن حلها في أوانها لو أعيد له دورها، لأنها أوّل من تكشف وتمحص عن قرب مشاكل الأطفال. هذا عن المدرسة .

2_ أمّا **معيقات خارج المدرسة** فيمكن حصرها فيما يلي :

أ_ **في الأسرة** : وهو أمر لابد من التعاون فيه بين البيت والمختص النفسي في حالة التغيرات السلوكية للأطفال والتي يمكن أن تكون أحد مؤشرات الكشف المبكر عن المخطط الذي يمكن أن يكون الطفل قد حضر له مسبقا، كالسرقة والكذب وهما أمران مترادفان في غالب الأحيان، ويكون بتحفيز ودون تحفيز، بقاء الطفل لساعات طويلة خارج البيت دون العودة إليه بحجة اللعب أو أنه عند الأقران . فلا مبالاة الأسرة في هذه النقطة قد تكون صلب اهتمام الطفل، إذ يكون في ذهنه فكرة أنه عديم الجدوى وأن أسرته لا تحبه، وهكذا يفضل الهروب وعدم البقاء لأنه لا يستشعر الحب والاهتمام .

_ إعلام الأخصائي النفسي في حالة تكرار غياب الطفل المؤقت ليوم مثلا دون علم الأسرة خصوصا في أيام العطل والتي غالبا ما يترك الأطفال دون رقابة، ليذهبوا إلى الشواطئ في جماعات، يمشون الساعات الطوال، يتسولون إذا جاعوا، يستنجدون بالسيارات وغالبا ما يعتدى عليهم جنسيا، وغالبا ما يخافون العقاب عند تأخرهم عن العودة إلى البيت فيفضلون الهروب .

ب_ **التعاون مع الشرطة**: إن التبليغ عند غياب الطفل عن البيت أمر ضروري، ولا نشك في قضايا التبليغ عن هروب الأطفال القصر والتكفل بها، ولعل كل النقاط السالفة الذكر تكون أحد المؤشرات التي يمكن للشرطة أن تعتمدها، ويحدث هذا في غياب الأخصائي النفسي أو المساعد الاجتماعي، فالتعاون بين هؤلاء الأطراف يسهل من دراسة أعمق للمشكلة لأن الشرطة تتكفل بالبحث عن الضحية، غير أن الأخصائي النفسي يدرس كل الجوانب بل ويعالجها في أوانها عن طريق رزنامة تكفل يحضرها رفقة العائلة .

_ إن هروب الطفل لأول مرة يعد ربما ناقوس الخطر الذي يكشف عن كثير من المشاكل التي لم تكن تؤخذ في الحسبان، وهنا مربط الفرس لأنه إذا لم تعالج في حينها فسيعود الطفل حتما إلى تكرارها مرات ومرات، ولعل التشرد لا يحدث بين عشية وضحاها ولكن بعد تحضير وتخطيط من قبل الطفل يكون سببه الهروب المتكرر إلى أن يكون الهروب بدون رجوع.

وفي خلاصة هذه العجالة من معيقات التكفل لا يمكننا أن نهمل أن حالات الهروب من البيت والتي نركز عليها كثيرا في بحثنا لأن التكفل بها في حينها يمكن علاج مسبباتها بالتعاون مع كل المؤسسات السابقة قبل أن تصير تشردا .

كما أن أصعب معيقات التكفل هو التكفل الفردي حالة بحالة وهو ما يصعب العمل التكفلي في قلة إن لم نقل في غياب الأخصائيين النفسيين في المجتمع وتهميش دورهم .

قائمة المصادر والمراجع:

*ونعني هنا L'Unicef، L'UNESCO ، L'OMS والتي تتدخل بشكل مباشر أو غير مباشر لدى الأطفال الشوارع.

** نقصد به عالم الطفل.

القواميس

1. ابن المنظور، لسان العرب، بيروت ، دار الكتب العلمية.
2. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت ، دار المشرق ، الطبعة الأولى، 2000.
3. سهيل إدريس ، جبور عبد النور (2000) قاموس المنهل فرنسي – عربي لبنان دار الآداب دار العلم للملايين .
4. Dictionnaire Hachette 2009 . Paris.
5. Le petit Larousse illustré 1995 Dictionnaire Encyclopédique Langue Française. Paris.
6. Sillamy Norbert (1999) : Dictionnaire de psychologie. Paris. Ed. Larousse.

المراجع باللغة العربية :

7. أكرم نشأة إبراهيم : (1960) : جنوح الأحداث في العراق – مطبعة بغداد .
8. المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي (1972) : المكتب الدولي لمكافحة الجريمة – جنوح الأحداث في الدّول العربية، بغداد .
9. أنور الشرقاوي : (1977) : انحراف الأحداث . بغداد . مطبعة دار الثقافة للطباعة .
10. عباس الحسني (1972) : فعاليات جمعية صحة وتنظيم الأسرة العراقية وأثرها في استئصال الإجرام وجنوح الأحداث والمشردين. بغداد. مطبعة الإرشاد.
11. مالك سليمان مخول (2003) : علم النفس الطفولة والمراهقة . دمشق. منشورات جامعة . الطبعة الثامنة.

المراجع باللغة الأجنبية:

12. Alexandre – Bidon, (D) (1997) : Les enfants au Moyen Âge, V^{e} – XV Siècles, Paris, Hachette.
13. Bergeron (M) 1950 : Les Fugues et le vagabondage chez l'enfant – Ann. Med. psychol. pp 537 – 558.
14. Brannigan (A) et Caputo (T) 1993 : Etudes sur les fugueurs et les jeunes de la rue au canada : problèmes conceptuels et méthodologiques. Ottawa. Ministère du solliciteur général du Canada.
15. Bruckner (P) (1995) : La tentation de l'innocence, essai, Paris, Berward Grasset.
16. Calmettes (Q) 1994 : Politique sociale urbaine pour l'enfance, Histoire démarche et application. in : L'enfant et son intégration dans la cité. Expériences et propositions, Paris, Syros.
17. Dallaire (N) (1998) : Enjeux et voies d'avenir de promotion / prévention, une réflexion dans le champ enfance – jeunesse – famille, Thèse de Doctorat, Sciences humaines Appliquée, Montréal. Université de Montréal.
18. Fortier (J), et Roy (S) (1996) : "Les jeunes de la rue et l'intervention : quelques repères théoriques». Cahiers de recherche sociologique, Vol. 27, 127 – 152.
19. Glauser (B) (1990): Street children: Deconstructing a construct in: James (A) et Prout (A): Constructing and Reconstructing Childhood: Contemporary Issues in the sociological study of childhood, Londres, The Flamer Press, pp 138-156.
20. Jouan (M.P) (1998) : "Droit, transmission et transformation», in Tissier (S) (1998) op.cit. pp 161-171.
21. Kuyu (C) (1998) : Spécificités Africaines et procédures de Prise en charge de l'enfant marginalisé" in. Tissier (S) : À la recherche des enfants des rues, Paris Karthala. pp 218- 222.
22. Lucchini (R) (1993) : Dossier : La prévention, une panacée à Amsterdam. Unicef.
23. Marguerat (Y) et Poitou (D) (1994) : À l'écoute des enfants de la rue en Afrique Noire, Paris, Fayard.
24. Mucchielli (L) (1998) : Clochards et sans Abris : actualité de l'œuvre d'Alexandre Vexliard" Revue Française de sociologie, pp 105 – 138.
25. Organisation Mondial de la santé (OMS) : 1993 : "Programme de lutte contre les toxicomanies. Une impasse ? Rapport sur la phase 1 du projet des enfants de la rue".
26. Parazelli (M) 1996 : "Les pratiques de socialisation marginalisée des jeunes de la rue dans l'espace urbain montréalais», cahier de recherche sociologique, n°-27, pp 47-62.

27. Pilotti (P) 1996: The situation in the south European conference on street children worldwide" Conference Report, Amsterdam.
28. Shumway Warner (J) (1995): A policy study of youth service: synthesizing analysis of policy content and policy process over time, Oklahoma, university of Oklahoma.
29. Stoëcklin (D) (1998) : Enfants des rues en chine : Les "Vagues aveugles" in. Tessier (S) : À la recherche des enfants des rues, Paris, Karthala, pp 195 – 213.
30. Tessier (S) 1994 : "La rue espace public" in l'enfant et son intégration dans la cité. Expérience et proposition, Paris, Syros. Coll. "Enfance et société" pp 101 – 105.
31. Tessier (S) 1998 : "Les structures et institutions de prise en charge" in : A la recherche des enfants des rues, Paris, Karthala, pp 237 – 242.
32. Unicef 1994 : "La situation des enfants dans le monde», New York, Nations Unies.
33. Vexliard (A) 1950 : Le clochard. Les phases de désocialisation, l'évolution psychiatrique, 4, pp 616 – 639.
34. Vexliard (A) 1953 : L'enfance du clochard, Enfance, 1, pp 61 – 74.

Sites internet

35. Josse (E) 2006, Les enfants des rues. L'enfer du decor.
36. Invernizzi (A) (2000) : L'enfant qui vit dans les rues en Afrique, en Asie et en Europe de l'EST : Bibliographie commentée consulté le 14 Juin 2010. http // www .Unicef. ch. / Socsem / documentation.html.
37. http: // www.Streetchildren.org.uk/reports/state % 20 the % 20 world's % 20 street % 20 children – violence . pdf.
38. http: // www.Unesco.org / éducation / wef / en – conf / Jomtien % 20Declaration % 20 eng. Shtm. Consulté le 24Mai 2010, 17 h 04.
39. http : // Fr.wikipedia.org / wiki /Enfant _ des _ rues. Consulté le 29 Mai 2010, 13 h 03.
40. http: // Forum. Law – dz. Com / index. php? Showtopic = 9433. Consulté le 29 Mai 2010, 14 h